مقال فلسفي كتب خصيصا «للآداب»

أدعو لوجودية جديدة !

بقلم كولن ويلسون
ترجمة يوسف شرورو

ككل الفلاسفة السابقين والمعاصرين ، تحيط بي غابة كثيفة من الاسئلة الحادة ، القائمة ابدا . فانا اتساءل بحرقة : لماذا نحن احياء ؟ لماذا نستمر في الحياة ؟ هل الحياة تستحق ان تعاش،وهل لها من معنى؟؟ ان الاجوبة دفينة في مكان ما ، والعثور عليها يتطلب مني جهدا وتعبا . انني اؤمن بالتحدي وبالمعاناة الاليمة في عمليات الخلق . وقد كتبت،حتى الان ستة مجلدات التهمت اكثر من ١٥٠٠ صفحة ، حاولت فيها ان،ابين ما ادعو له ، وما زال صديقي،تشردي في ازقة لندن ، ومترجم اعمالي يوسف شرورو يلح علي في كتابة مقال ، اشرح فيه باختصار فلسفتي الجديدة ، لينشر في مجلة « الاداب » البيروتية .

هذا هو المقال ، ان المعضلة الحياتية تتكرر دون توقف ، فهل نملك القابلية الدافعة المستمرة لتقبل الحياة ؟ ام ان الحياة وهم هائل يجثم على عقولنا بلا مقاومة او همسة خافتة متمردة ؟ هل كان الشاعر عمر الخيام صادقا ، او على حق حين قال في لحظة خمر :

« عش ملذاتك ، اغرف لحظات الحياة ، لا تقلق النفس بالالتفات الى الدين ، او الفلسفة » ؟ انني اشير باصبع لا يرتجف الى المشكلة الرئيسية : ما الذي نفعله بحيواتنا ؟

اعلينا ان نأخذ ما عناه بلوتو يوم شرح الفلسفة،وما قاله،بلوتونيس، وسكوتس ، واوريليس ، وارسميس وسبينوزا ايضا ؟

كلهم كانوا يتمزقون الما ، وعقولهم دوامة لا تهدأ لالتقاط الإجوبة ، ثم تفجرت قاعدة الفلسفة عندما هبط الفلاسفة وعلى رأسهم ديكارت وصرخوا بصوت مشروخ : « توقفوا عن توجيه الاسئلة فهي سخيفة بلهاء، محتواها اجوف . »

وفجأة ، نبتت سواعد رجال الفلسفة الموضوعية المنطقية ،فارسلوها لتحفر داخل عقول الفلاسفة القدامى ، ثم عقدوا اجتماعا سريا ، صرحوا فيه ، بان الذنب في هرب الناس من الفلاسفة ، انما هو اللغة المعتمة السمجة التي يرصفونها بجانب بعضها بعضا دون معرفة للمعاني التي تعكسها ، ان الفلسفة تعيش فضيحتها وعطبها . ولقد اخرجوا السنتهم، وناقشوا « هيجل وكنت » وكل البقية من الخلاقين السابقين ، وبرهنوا لهم على ان كلماتهم ثقيلة متجهمة الحواشي اخافت الناس من خطر مقبل . وتربعوا في القاعدة الفلسفية ، تفرقوا ليتوغلوا بعيدا جدا على ان يجتمعوا مرة ثانية من اجل اقامة صرح فلسفي يقوم على ايجاد اجوبة منطقية للاسئلة القائمة ابدا ، حطموا الهياكل ، واصابهم الخوار ،لهثوا، ونفثوا كلاما قذفهم به مزاجهم الخاص ، لا عقولهم ، فقالوا :

« لا يهمنا السؤال الذي يقول « لم نحن احياء ؟ »

وانا اوافقهم على نقطة واحدة . يجب ان تشرح الفلسفة بكلمات مضيئة حلوة . لترشف منها عيون الناس وعقولهم .

انني لم الهث مثلهم ، ولن انزع عقلي وانزوي ، فانا مهتم بالسؤال . وقد مرست نفسي على التفكير الطويل الطويل الذي سلبني نصف عمر ي ، وما زال ، لاحصل على الجواب . ان معظم كتاباتي قد هاجمت فيها المذاهب المتعددة التي،تنتمي لرجال الفلسفة الموضوعية المنطقية ، ولكنني اعتقد بان هذا لا يكفي .

لقد ازاح « كيريفارد » سياج القاعدة الخربة ، في منتصف القرن التاسع عشر ، وتساءل السؤال المعضلة ، فجلس باسترخاء وكتب :

ـ السؤال القاعدة لكل فلسفة هو « لم نحن احياء ؟ »

وامتص الناس سؤاله ، ثم لقبوه بلقب مزركش « ابو الفلسفة الوجودية وخالقها » .

ولقد عرفت بهذا الاسم لانها تساءلت عن،معنى الوجود الانساني،كله!!

واطل صباح جديد ، وبرزت فيه وجوه اتباعه المخلصين ، نيتشه، هيدجر ، جسبر ، مارسيل ، ثم سارتر وكامو ، الثلم اليتيم لكل هؤلاء ـ ما عدا نيتشه ـ هو جوابهم الذي لم يتراجعوا عنه : الحياة الانسانية تقريبا بلا معنى .

أن عالمنا تتصارع فيه مدرستان فلسفيتان شهيرتان جدا ، واحدة تكتب « الحياة الانسانية تصبح بلا معنى ، حين تتساءل « ما المعنى،من الحياة ؟ » . »

والثانية تردد « الحياة الانسانية ليست بلا معنى ، ولكن يجب ان نهيىء انفسنا لتقبل جواب كئيب جدا عنها . »

اما انا فاختلف عن هاتين المدرستين، فلست اعتقد بانه من،السخف والبلاهة ان اقول « ما المعنى من الحياة ؟ » ولا اقبل الجواب القائل بان حياتنا بلا معنى ، ولن اجلس صامتا لسماع الجواب الكئيب !! انني لا اريد ان اسطح المعضلة واخفف من حدتها ، بل ساتابع السير .

لنأخذ مثالا : اذا اصبحت مؤمنا بما جاءت به المسيحية ، فسامتلك الجواب للمعضلة . وتنتهي حرقة السؤال ، ولا استطيع الاستلقاء،والنوم على الجواب المسيحي . فمن اجل فهم الحياة ، علي ان اصدق بان،السيد المسيح صلب ليكفر عن ذنوبي،انا ، وعلي ان اؤمن بانه ابن الرب !! انا اعرف باننا كلنا ابناء الرب ، والسيد المسيح نفسه لم يتوصل لمعرفة الجواب ،حول معضلة الحياة اكثر مني انا . لن انكر بان رجال الدين عاشوا في بيوتهم المقدسة يتفكرون ويستلهمون ، وللحظات شاهدوا الجواب كوميض غامض يلوح من بعيد امام اعينهم ، وارادوا ان،يستشفوا ما بداخله ، وكان واضحا ، ومع هذا لم يقولوا شيئا بعد . انا ارفض الفكرة المسيحية ، ولا ارفض الدين ، وقد اوضحت فكرتي هذه في كتابي « Religion And The Rebel » وبوصول،برجسون الى المائدة الفلسفية، اعلن بان هناك نوعين من الدين: « الدين المنفتح » و « الدين المغلق » ثم عرف كل دين بكلمات قليلة .

ان « الدين المنفتح » هو دين الرجال الذين يفترسهم السؤال الممض عن المعنى لحياتنا هذه . دين المتصوفين والقديسين . وهذا الدين يجذبني اليه باستمرار .

اما « الدين المغلق » فهو دين العقائد الغامضة وحكايات « الجنايات والمعجزات » .

ان كل المدارس السابقة ، مع الفلاسفة القدامى ، بصحبة الدين لم يقطعوا شجرة واحدة من غابة الاسئلة الكثيفة . ولهذا شرعت في خلق فلسفة جديدة لا تبشر بحياة تشاؤمية او فاشلة ، ودعوتها بالوجودية الجديدة ، لان الصفة الوحيدة لتكون فيلسوفا وجوديا ،

هي أن لا تكف عن التدقيق العنيف ، أن تستمر تبحث وتنقب وتتساءل ان تكون صادقا مع نفسك ثم مع الاخرين ، ان تشرح فلسفتك بلغةسليمة سهلة ، أن تشحن داخلك بقوة لا ضعف يصيبها، أن لا تصاب بعدوى غواية الفلسفة ، للغواية فقط ،أن تقاوم الاغراء الكاذب ، ان تعرف بان الفلسفة تختلف عن العلم . اننا لمنجد طريقة لاختبار نتائج الفلسفةبعد! ولم تخلق طريقة مخططة ، أذ اتبعتها ستصبح فيلسوفا عظيما ، ومعهذا، فانت صاحب عقلك وجسدك،ولك الحق ان تفعل ما تشاء بفلسفتك.انك تستطيع ان تتألق كعالم مثل ديكارت ، او ان تسوق خواطر انفعالية مثل نيتشه في كتابه « هكذا تكلم زرادشت » او ان تبدأ الانطلاقة من ارض الدين كما فعل كيريغارد ، او ان تستهويك قاعدة شاذة في علم النفس وتبني عليها فلسفتك كجسبر . اما انا فقد قررت ان اسير مع ديكارت في منهاجه ، واصبغ فلسفتي بلون علمي ، على ان ارمم التصدع الكبير في حصن ديكارت الفلسفي . وقد اتممت عملي ، والحصن يبدو بلا تصدع ، وقد آن الوقت لانطلق وحيدا مزودا باعظم فلاسفة العصر ، هوسرل Husserl

ستقرأ عن هذا ، في الفصل الثالث من كتاب « ما وراء اللامنتمي » (١) .

والان ، سوف اجيب نفسي : لماذا اريد ان اعرف ، ما المعنى من الحياة ؟

عندما كنت طفلا ، كنت مرهف الحس ، اعيش في خيالي الغني ، وقد ولدت في عائلة فقيرة عمالية ، تكدح لتأكل وكانت اجرة ابي الاسبوعية عبارة عن ثلاثة جنيهات ، تدفع له يوم الجمعة ، من معمل الاحذية الضخم . وفجأة لونت طفولتي بالكآبة والفاقة ، فالحربالعالمية الثانية مدت خرابها على العالم ، وجعلتني احن لرؤية الجمال والغنى في الوجود ، وكانت الفرصة شحيحة لارواء هذا الظمأ الملتهب . كنت اترقب حلول اعياد الميلاد البهية ، وتفتح الازهار البرية المسكينة ، في ايام الربيع والصيف المشمسة ، واقفز فرحا تتدفق من وجهي ابتسامات حنونة للشواطىء المهجورة ، وحين كان يأخذني ابي على دراجته لالعبمع رمال الساحل ، نشأت ونشا الحنين الملتاع في داخلي لمعرفة ماهية الوجود ، ثم اكتشفت بان خيالي الخصب قد يشبع رغبتي لارواءالحنين، ولكن الخيال الغني المبهج يختلف عن الحقيقة ذاتها .

وهاجمتني لحظات كانت النيران تشتعل في عقلي ، وتشحن بطاقات تتضاعف عشرات المرات ، ثم ارتكزت حياتي على المحور الملتهب هذا، او قاعدة ذهولي . في تلك الحالة كانت موجات متدفقة من البهجة تنبع من داخلي ، جارية بنعومة وبعذوبة في دمي ، العمق العقلي تأجج وثار كاليورانيوم في القنبلة الذرية ، وشعرت بان عالمنا لانهائي ترفرف عليه السعادة ولا نهاية لروعته ، وعلينا ان نبحث عن الجمال لنجده .انالحياة تستحق ان تعاش . ولا ادري لمكانت تصدمني وجوه الناس المحيطينبي؟ وكنت اتساءل :

« لماذا لا يتمتعون بما اتمتع به ؟ اتراهم يشاهدون ما اشاهد ؟انهم مصابون « بالمرض الخبيث » الذيامسك الحلاوة من ان تعبر حياتهم ، انهم عمي يقضون ايامهم في كآبة مستمرة » .

وبعد نصف ساعة تنتقل جراثيم « المرض الخبيث » الي ، الرؤية الالهية التي غمرتني تلاشت ، لاعود مرة ثانية التصق بالاشياء الضئيلة، شاعرا بان الرؤيا ستعود ، ثم ابدأ اقاوم بهوس صامت حتى اجلبها الي من جديد .

وتعمقت احاسيسي عندما اصبحت رجلا عاملا ، اقضي نهاري في معمل بغيض بني في منطقة كامدة فقيرة . وقد كرهت الاشياء التي استدارت حولي ، وكانت امنيتي انأعود الى البيت ، لابحث عن عقلي ، ولدهشتي المفجعة ، فقد كان عقلي جافا من كل الاشياء الجميلة التي عرفتها يوما ، وكان علي ان اتدرب على خلق الرؤيا من جديد . كنت اعيش في غيبوبة ذهنية تشدني في رحلة سحيقة ، بعيدة عن العالم ،

(١) سيصدر قريبا عن « دار الاداب » ــ المترجم

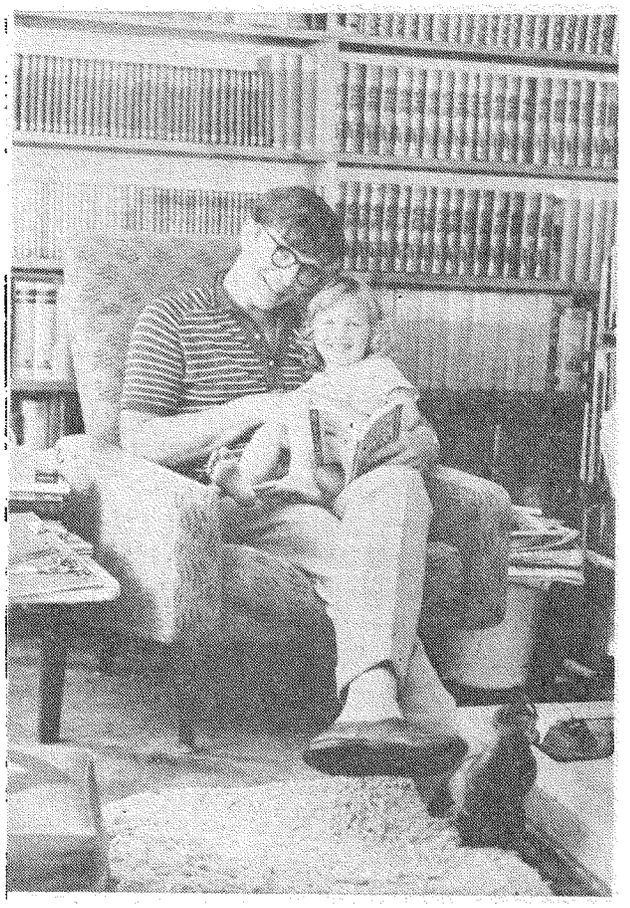

كولن ويلسون وابنته

❷

اقرأ ، واكتب ، واستمع الى الموسيقى . وعثرت على الشعر الكلاسيكي، والموسيقى ، وكثيرا ما فشلت في الفرار والاختباء من الاشياء الضئيلة الصغيرة التي اعتادت ان تهز الرؤيا وتدحرها . واكتشفت بان الرؤيا تزورني وتغادرني كما يحلو لها ، ولكن هل يعني ذلك ان لا فائدة من البحث المتواصل عنها ؟ انني ارفض ان لا ابحث !

فكرت ثم كتبت عن مشكلة وجود الرؤيا . واستحواذها مرة ثانية، اخاف من الانتظار لاصبح شاعرا . وكنت اريد أن اتعلم القدرة الواسعة لاستحضارها وابعادها كما افتح واغلق حنفية ماء .

وخيل لي بانني اقلد اسلوب المتصوفين ، وقد حوصرت بتأثير الهندوسية ثم البوذية ، ومات التأثير . ولم استطع ان أقبل العقيدة البوذية القائلة بان عالمنا خداع وضلال ، وما يزال عقلي يبحث ويبحث، وتقابلت يوما مع « نيرفانا » فاتخذت رؤيته كبداية . ثم اصبحت قادرا على خلق رؤياي التي همست لي بان العالم خديعة كبيرة ، ويبدو لي غريبا ومحزنا ايضا ، بان الناس لم يكتشفوا بعد ، بان عالمنا جميل جدا.

في الثالثة عشرة اصابني برنارد شو بافكاره ، التي اخذتها دون مناقشة . وتقبلت كلية نظريته عن التطور والارتقاء ، وصاحبت كتابه « العودة الى ميثوليحا » الذي جعلني اؤمن بان الخافة الثانية لتطور الانسان ستكون قدرته على العيش لمدة ٣٠٠ أو ٣٠٠٠ سنة ، او حتى ٣٠٠٠٠٠٠ سنة ، ولغبائي سألت نفسي عن السبب الذي يمنعنا من العيش حتى ثلاثماية سنة ، لعلمي مقدما بان السبب هو«المرض الخبيث» الذي عفر عيوننا بالفشل ، واعمانا عن رؤية الروعة الخلاقة فيعالمنا هذا.

هل تعرفون بان المسيحية تطلق على « المرض الخبيث » اسما اخر هو « الخطيئة الاولى » ؟

لقد كنت ميالا لادراج هذه التسمية في كتاباتي ، ولكنني ارتعشت

من رهبة « الاعتراف » ، لهذا اسقطت التسمية من عقلي .

لماذا لا نقتل الرغبة البلهاء التي تسوقنا للضآلة والغباء ، ثم تدفعنا للتعلق بالحياة الهنيئة المستلقية بعيدا عن معنى الحياة ؟ اننا لا نعرف كيف ستكون حياتنا بعد ! يجب ان تنقلب تلك الرغبة ، لان نعيش الحياة بكل ابعادها ، بكل اشتياقها وعمقها ، وكثافتها ، هذا ما نريده وما نبحث عنه ايضا ، وعلينا ان نتعلم كيف نعيش .

ساعود الى المسيحية . هل هي على حق ، ان الانسان يزل من جراء الخطيئة الاولى ، ثم يقع متسربلا اسيرا بعذاباته . وانا افضل الانسان الذي كتب قصيدة مفرحة او حزينة ، والفنان الذي رسم لوحة ، لانهما زرعا في ذواتنا فكرة الانعتاق من انفسنا ، وتعلمنا منهما كيف ننطلق نحو العالم اللانهائي . ان الشعر والخيال قد اعطيا الانسان فكرة الارتقاء نحو مصاف الالهة ، حررا الانسان من ضآلته ، ثم ذهبا به بعيدا عن الحياة المادية الفجة .

حسنا ، اظنني قد اجبت بطريقتي ولنفسي على السؤال الذي يقول « ما المعنى من الحياة ؟ »

ان برنارد شو قد اجاب على السؤال في كتابيه « العودة الى ميثوليجا » و « الرجل والسوبرمان » ، وعلمت بان جوابه لا يعدو اكثر من بداية .

لنأخذ مثالا : قد اخرج قاصدا بلاد الصين . واسأل اول القادمين نحوي عن الطريق اليها ، ولان الرجل يحمل خريطة للعالم في جيبه ، فقد انتحى واراني الدروب الى تلك البلاد . حسنا ، لقد عرفت الطريق ، ولكنني ما زلت احتاج الى معرفة التفاصيل الدقيقة التي توصلنا الى هناك . لقد اعطاني برنارد شو جوابا اراحني ، ولكنه لم يقل لي كيف اصل !! ان علينا ان نعيش حياتنا لحظة بلحظة ، ثم يوما بيوم . ولا يوجد هناك دين او فلسفة ، علما الانسان كيف يعيش التفصيلات الدقيقة ، وهذا يذكرني بالفلاسفة الوجوديين مثل ساتر ، كامو ، وهيدجر ، وبالروائيين الوجوديين مثل همنغواي ودستويفسكي ، الذين علمونا الكثير من مشكلة العيش من لحظة الى اخرى . ومع هذا فما زلنا نترقب ان نحيط بالعلم كله ، على عيش التفصيلات الدقيقة .

انا ـ كما كتبت سابقا ـ اختلف عن شو ، فانا مهتم بالتفصيلات الدقيقة .

ولقد اتقنت السيطرة التامة على عقلي ، وانا اشبهه بجهاز الكتروني ضخم ، يتكون من دوائر مسننة وعتالات وازرار عديدة منتشرة في كل مكان ، والى يومنا هذا يخيم على الانسان الغباء والبله بحيث لم يتقن بعد عملية « تشغيل » الجهاز الذي يحمله ، عدا القلة ـ الرجال الذين ندعوهم بالعباقرة ـ فقد استطاعوا ان يعرفوا شيئا طفيفا عن «تشغيل» الجهاز ، ومع هذا فهم يعرفون القليل القليل . وقررت ان احيط علما بالالة الضخمة التي تحتوي على الاجهزة الانسانية ، لاجد لماذا ركبت كل هذه الدوائر والعتالات والازرار ؟

وعند تعمقنا في تاريخ الانسانية منذ بدايتها ، نلاحظ ان العظماء القدامى حاولوا ان يحركوا الاجهزة ، ولكننا ، نحن ، لا نستعمل الا جزءا ضئيلا من قوتنا الخلاقة . نحن حقا ، كفرف اجهزة مزدحمة بالالات الملقاة بكل كسل واهمال يعلوها الصدأ والغبار ، نحن لا ندري بان الاجهزة هذه موجودة ، منذ مئات السنين ، وقد جاء رجل بالاتفاق وضغط على زر لم يفكر في اختياره ، ولدهشته بدأت الاجهزة بالعمل ، ونحن نطلق على هذا الانسان لقب « القديس المبهم » !! هل عرفتموه ؟؟ ان السؤال يأتي من جديد ، من اين ابدأ لاحيط علما بهذا الجهاز ؟

ان الجهاز « في داخلي » ومن سوء الحظ انني لا اقدر ان اصل بسهولة « الى داخلي » . ساحاول ان استعمل عقلي كعالم . « في الخامسة عشرة خيل لي بانني ساصبح عالما خطيرا » . خذوا هذه التجربة : لقد اراد رجل ان يلجأ الى العلم للتوصل الى نتيجة علمية في حقل « البكتيريا » . وكانت التجربة مملة ، وقد اكله السأم في بدايتها ، كان عليه ان يصنف النماذج ويلصق عليها ارقامها ، ثم يرصها في الارشيف ، بعد ان يقسم نماذجه الى مجموعات متشابهة ، باختصار ، كانت البداية عبارة عن تصنيف وترتيب .

اما انا فقد بدأت العمل في تصنيف شعوري ومعلوماتي ، ثم ترقيمها وتقسيمها الى مجموعات متشابهة ، مرتكزا على علم النفس ، والنوع الذي يهمني من هذا العلم هو « الرؤيا » . وسلحت نفسي بصبر واسع من البداية ، قضيت الايام احلل وادون ، وانا اعتقد بانني جد قريب من هدفي الذي كان غامضا منذ سنين عشر ، وقد حصلت على نتيجة لبعض اختباراتي اذهلتني برجفة ، وآمل ان اعيش لمئة سنة اخرى ، فسافجر الثورة في الحياة الانسانية مثلما فجرها « نيوتن » في عالم العلم . وفي الوقت نفسه آمل ان اسمع عن اخرين يبحثون لايجاد الحل لمعضلة الوجود الانساني ، لنتعاون معا . ان الطريق ممهد ، وقد قمت بوضع الاساس الارضي ـ الثقيل ، اذ نظفت الطريق من القذارة التي خلفها فلاسفة الماضي وراءهم ، وقد نستطيع جميعا ان نعرف الى اين تمضي هذه الحياة كلها ؟

غير اني ، عندما اعيد قراءة كتاباتي ، اشعر بان شيئا ما ، ما زال ناقصا .

لقد شرحت لماذا احاول ان ادعو لفلسفة وجودية جديدة ، ولماذا انا فيلسوف ، وماذا ساعمل ، ولكنني لم اوضح بعد « كيف » ساصل ؟

وهذه السطور الاخيرة هي لتوضيح « كيف » هذه .

انك تستطيع ان تفعل ما تشاء بجسدك في صبيحة يوم بارد ـ طبعا في حدود مقدرتك ـ . قد لا تغادر فراشك . قد تحملق في السقف لمدة طويلة ، قد تحلم بعينين ساهمتين ، هل ستدوم هذه اللحظات ؟ انك ستسيطر على اعصابك وتنهض ، قد تقف ، او تجلس ، قد تركض ، تمشي ، تغني ، لا ادري ، ولكن هذه الفكرة البسيطة تبرهن لنا بان الانسان يستطيع ان يتحكم في عقله اذا اراد .

وتجلس بجانب المدفأة ترغب في قراءة رواية شيقة ، وفجأة يأتي ابنك الصغير ويتمسح بك ، وتبوح عيناه بانه يريدك ان تساعده في حل مسألة حساب . ولكنك لا تشعر بمزاج حسابي ، ومع ذلك تساعده اخيرا ، وتشعر بالسرور كطفل لوصولك الى النتيجة المطلوبة ، انت تقدر ان تدرب عقلك وجسدك للقيام بكل الاعمال القاسية والسهلة ايضا ، مثل حل معادلة رياضية من الدرجة الثانية .

ان الانسان يقاس بدرجة تدريبه العقلي والجسدي ، في حل اية معضلة حياتية ، حين تواجهه ، وبعضهم يتناسى طاقته الخلاقة ويقول بعجز : لا استطيع الاستمرار في التفكير لايجاد منفذ يقود الى نتيجة جيدة .

وبحزن ابله يطلق على عقله وجسده لقبا مبتكرا « العقل العاق ، الجسد المتمرد » .

قد تعود الى بيتك يغمرك احساس بالتعب المرهق ، تشعر بثقل في رموش عينيك ، تود ان تنام لعشرين ساعة ، وتبتسم بسخرية ان طلب منك احد الناس ان تذهب لمسافة قصيرة لتشتري شيئا هاما ، انت ترغب ان تنام فقط ، ثم فجأة تسمع هدير سيارات المطافىء ، تمرق مسرعة لتقف في نهاية الشارع ، لتخمد حريقا التهم اجزاء من البيت . ويموت تعبك ، ولا تدري كيف قضيت اكثر من ساعتين ، تتفرج ، وتحاول ان

مكتبة روكسي

اطلبوا منها الاداب كل اول شهر

مع منشورات دار الاداب

اول طريق الشام

صاحبها : حسن شعيب

تساعد الرجال في عملهم ، وتتساءل : كيف ولت فكرة الايواء الى الفراش في ساعة مبكرة ؟ بصراحة ، انت نسيت ما اسميه « كلمة من القيادة » لتحافظ على عقلك وجسدك في حالة نشيطة ، سوف تحتج وتقول:صوت السيارات ايقظني .

في هذه المرة نسيت ان تلصق اللقب بجسدك « الجسد المتمرد الذي لا يطيع » .

ساقدم مثالا جديدا : انني اتسلق « البانيو » لاغتسل ، الحمام يلسع ، واتربع في جوفه ، تؤلمني الحرارة فاصرخ ثم اقف . تمر بعقلي قصة مرعبة كتبها ت.ي. لورانس ، عن قائد تركي همجي ، قذف برجل عجوز الى « فرن » السفينة ، الفكرة تجعلني ارتعش ، حالة الارتعاش هذه تدع اعصابي في تلك اللحظة ان تستلقي باسترخاء ، ينعدم الحس بحرارة الماء في حمامي ،واتمدد بكل راحة واطمئنان . لماذا ؟!

ارجوك ، لا تبتسم ولا تقل : اعتاد جسدك حرارة الماء للحظات .

ان جوابي يختلف : « قصة الرجل العجوز الذي احترق في فرن السفينة فجر قوة خفية في جسدي ، جعلتني لا احس بلسعة الماء » .

ان في ذواتنا كلنا هذه القوى الخفية ، حاول ان تقبض عليها في المرة القادمة ، حين تأكل كمية شهية كبيرة من الطعام وتشعر بالمرض يطرق جدران معدتك ، اذا عجزت ، حاول ان تعثر على «كلمة من القيادة» لتوقف المرض ، وسوف يتوقف !!

هناك بعض القوى التي اسعى جاهدا لامتلكها ، انتم تعرفون كتاب « العودة الى ميشوليحا » حيث اخبرنا برنارد شو عن رجال المستقبل الذين سيمتازون بالسيطرة القوية على ذواتهم ، والذين يتطورون كما يرغبون ويشتهون ، قد يرغب احدهم في رأس ثانية ،او ان تنبت له عشر من الاذرع الضخمة ، وقد قال برنارد شو بان صفتهم هي الانتظار ، واحيانا الانتظار الطويل . كلهم يرغبون في « زيادات اضافية » وانا اريد بعض « الزيادات » ايضا ، لانني اعتقد بانها ستكون الخطوة الاولى في اتجاهي الجديد .

نعم ، انا اؤمن بعمق بان الانسان يقف على منعطف جذري عظيم ، ساستطيع ان اجمع بعض البديهيات من ذلك المنعطف .

ان الكرسي الذي اجلس عليه ينتمي الى وجودنا المادي ، وكذلك كلبي المستلقي امامي على البساط العتيق ، وجسدي ايضا ينتمي الى هذا الوجود المادي ، ولكن ماذا عن الارض الاخرى الكائنة في داخلي ، انها منطقة هائلة متوارية لم اكتشفها من قبل ، ثم اكتشفت شيئا منها حين تعلمت الجلد على القراءة المتواصلة الواعية ، ومنذ ذلك الوقت اصبحت « رحالة عقليا » (هذا التعبير استعمله بليك من قبلي) ،ووجدت بان الوجود العقلي يهمني اكثر من العالم الخارجي .

ومع ان الانسان قد اكتشف « وجود » هذا الوجود العقلي ، فهو لم يحصل على جواز سفر يسمح له بالتجوال فيه . لقد سمح له ان يأخذ « رحلة يوم » ليتخطى الحدود ، ومن ثم عليه ان يعود لعالم الضروري، عالم الطبيعي ، عالم اللامعنى .

ان اعمال المتمردين من الكتاب ، امثال : بليك ، نيتشه ، دستويفسكي ، شو ، لورنس بشرت باليوم الذي لم يسطع على الانسانية بعد ، حيث ينطلق الانسان ويصبح خلاقا ، يعرف كيف يستعمل قوته الهائلة الراكدة في داخله ، انه سوف يسبح - بايحاء قوته - مثل سمك البحر ، سينتهي ضجره ، ولن يناقض نفسه ، سيموت الانسان القديم فيه ، ويبرهن الانسان الجديد على وجوده ، دون ان يفكر في العودة الى الارض السابقة . لقد اعطي المفتاح لعبور هذه المملكة الجديدة ، قد يقف في طريقه، عائق ما ، حاجز لامرئي ، سيعرف بان العائق ، الحاجز اللامرئي، ينبعان من كسله الداخلي ، لا من اشياء اخرى ، ولكن قد تكون هناك بالفعل بعض الحواجز اللامرئية ؟ ومن هنا ساعرف السبب الذي يمنعنا من العبور الى « ارض الحياة الجديدة » !

تعلمون الان لم اؤمن بان « الوجودية الجديدة » ستنتهي بتغيير الحياة الانسانية كلها .

« كورين هافن » **كولن ويلسون**

المنجد

في اللغة والأدب والعلوم

(الطبعة الثامنة عشرة)

يحتوي على قسمين : المنجد في اللغة : ٩٧٦ صفحة ، ٢٥٠٠ رسم ، ٤٠ لوحة ملونة ؛ والمنجد في الأدب والعلوم : ٥٩٣ صفحة ، ٧٤ لوحة سوداء ، ١٠٠ خريطة سوداء ، ٥٢ خريطة ملونة . مجلّد بقماش أحمر ومغلّف بغلاف ملوّن على شبه بساط فارسي .

* * *

يُطلب مِن المكتبة الشرقيّة - ساحة النجمة - بيروت